الإصلاحات العثمانية وأثرها في تعليم الفتيات في العصر العثماني الثاني ١٨٣٥-١٩١١م دراسة تاريخيه وثائقية

أ.م عفاف البشير عيسى

جامعه الزاوية–ليبيا

كليه الآداب قسم التاريخ

أولاً-تمهيد:

يمثل تعليم الفتيات في العصر العثماني الثاني ١٨٣٥–١٩١١ م حلقه مهمه من حلقات التعليم العثماني بشكل عام في الولاية، إذ لم يكن منفصلاً عن الفترة التاريخية السابقة له، إذ أن العثمانيين صبغوا الحياة الثقافية في الولايات العربية العثمانية بنفس الصبغة، والباحثة هنا تحاول دراسة محور رئيسي ألا وهو تعليم وثقافة المرأة، خاصة وأنه لا يوجد بينهما أي فاصل بل أنهما مكملان لبعضهما البعض أما التساؤلات التي تطرحها هنا فهي متعددة، إلا أن أهمها:

– ما موقع تعليم الفتيات في التعليم العثماني في ولاية طرابلس الغرب؟

– هل انعكس على مكانتها الاجتماعية؟

– وما الدور الذي لعبة العثمانيون في تطوير تعليم الفتيات؟

– هل كان للإصلاحات العثمانية فيما يخص المعارف أثرا في تطورها الثقافي؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدت الباحثة على الدراسة بشكل كبير في هذا البحث على الوثائق التاريخية المحفوظة في دار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب الخاصة بالتعليم.

المبحث الأول: نبذة عن الأوضاع التعليمية في ولاية طرابلس الغرب خلال العصر العثماني

لم تعرف ولاية طرابلس الغرب خلال العصر العثماني المدارس النظامية إلا في عام ١٨٩٠م وحتى عام ١٩١١م حيث شهدت البلاد في هذه السنوات نشاطاً تعليمياً هاماً، تعددت فيه المدارس الابتدائية والثانوية العامة والفنية، وقبل هذه الفترة انحصر العلم والتعليم، فيما يعرف بالكتاتيب التي لعبت دوراً كبيراً في نشر العلوم الدينية، واللغة العربية سواء في المدن أو في القري والمناطق الريفية.

فالتعليم الديني تركز بالدرجة الأولى في المساجد والزوايا [1]والكتاب، ومن ثم المدارس الدينية التي عادة ما تكون ملحقة بالمساجد، فالعثمانيون منذ دخولهم الولايات العربية اهتموا اهتماماً بالغاً بالنواحي الدينية، وذلك بتشييد العديد من المساجد في تلك الولايات ومنها ولاية طرابلس.

(*) الزاويه كانت تشمل علي الأشياء التاليه أو الكثير منها غرفه للصلاه بها محراب وضريح لأحد المرابطين وولي من الأشرف، يعلوه قبة وغرفة قصرت علي تلاوة القرآن الكريم ومكتب أو مدرسة لتحفيظ القرآن ثم غرف مخصصه لضيوف الزاويه والحجاج والمسافرين والطلبة، تيستير بن موسي، الحياة الدينية في ليبيا في العهد العثماني، مجله تراث الشعب السنه الرابعة، العدد الثالث عشر،١مايو،١٩٩٥،ص١١٦.

وإذا ما حصرنا المساجد التي شيدت خلال العصر العثماني الثاني نجدها قد بلغت ٩٨ مسجداً وجامعاً [١]،وتتم تدريس أمور الدين من حفظ القران الكريم والسنه ،وغيرها من العلوم الدينية، وأنيط بالزوايا تعليم الأمور الدينية مع الأولويات التي يتعلمها الطالب، تعاليم والطرق الصوفية [٢]، وقد تعددت الزوايا بمنطقه طرابلس منها من أسس في شرقها ومنها ما أسس في منطقة الجبل الغربي.

وبما أن من مميزات هذه الزوايا التعليم المجاني، فقد أنخرط فيها العديد من الطلاب سواء داخل المدينة أو من البادية خاصه وأن هؤلاء كان لديهم وازع ديني، وتعلقهم بالانخراط والانتماء للطرق الصوفية.

بل تشير إحدى الوثائق المؤرخة في جمادي الثانية ١٢٦٣-١٨٤٧م، إلي ضرورة إلزام تعليم الفتيات القراءة من أمور الدين في طرابلس [٣].

إلا أن تلك الزوايا هيئت للسلطة الأقسام الداخلية وتقديم بعض المساعدات النقدية وفما ساهم في هذه المميزات والكلية المالية، وأن المورد الرئيسي لهذه الزوايا هي إدارة الأوقاف بالولاية، ويبدو من دراسة بعض الوثائق أن الكتاتيب من المراكز التعليمية التي كان لها دور تعليمي في الولاية، فالطلبة في الكتاب يكون عادة أعمارهم بين الخامسة والسابعة، وقد شجعت الدولة هذه المؤسسة، نظراً لإقبال الأهالي علي تعليم أبنائهم فيها، حيث يتلقي الطالب تعليمه من الصباح إلي الظهيرة، ومن ثم الاستراحة لمواصلة الدرس حتي آذان العصر [٤].

ويتفق جل المؤرخين أن بدخول العثمانيون الولاية عام ١٥٥١م وجدت العديد من المدارس الدينية اتخذت نفس النمط في جميع أجزاء الولاية ومن هذه المدارس مدرسة عثمان باشا (١٠٦٥-١٦٥٤م)، ومدرسه أحمد باشا(١٣٣٧-١٧٣٨م)، ومدرسة الكاتب (١١٨٣-١٧٦٩م)، ومدرسة قرجي(١٨٣٣-١٨٣٤م)، مدرسة ميزران [٥].

وتتفق أغلب المصادر أن المناهج التي تدرس في هذه المدارس كتب التراث، والقرآن الكريم، علوم التفسير، و الحديث النبوي، الفقه وأصوله.

إن هذه المدارس يستمر الدرس بها للطلاب منذ صلاه الفجر وحتي آذان العصر– وتستغرق مدة الدراسة في هذه المدارس عادة سبع سنوات يتمتع فيها الطالب برعاية كاملة من قبل سلطان الدراسة [٦].

ومن أهمية هذه المدارس أن الطالب المتخرج له الحق باستكمال دراسته العلمية سواء بالأزهر بمصر أو جامع الزيتونة بتونس أو القروبين بقابس ومنهم من تولي القضاء في القرى والأرياف ويدعي نائباً شرعيا[٧].

---

(١) دار المحفوظان التاريخية طرابلس، ملفات التعليم (ملف التعليم الديني)، مساجد،كتيبات، زوايا، ملف رقم ٣، وثيقة رقم ٨، بشأن الجوامع، انظر ملحق رقم(١).

(١) شهدت الطرائق الصوفية في ليبيا، أيان العصر العثماني أتساعاً ونفوذاً في طول البلاد وعرضها حتي أصبح لكل قريه تقريباً شيخها ووليها الصوفي وتبرك به وتقدم.

(٢) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ٣، وثقة رقم ٣٧٦ ،فرمان سلطاني بلزوم تعليم القرآن وأمور الدين في طرابلس، انظر ملحق رقم (٢).

(٣) نجاح القابسي، المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي، مجلة كليه التربية، جامعة طرابلس ،العدد ١٤، طرابلس — ليبيا١٩٩٥ م ،ص١٢

(٤) سعيد علي حامد (مدارس مدينه طرابلس منذ فتح العرب حتي سنة ١٩١١م)، مجلة تراث الشعب العدد ١٤ لسنه الخامسه محرم ربيع الأول ١٣٩٤هـ أكتوبر، نوفمبر١٩٤٨ مك، ص٥١

(٥) محمد الكوني بلحاج، التعليم في مدينة طرابلس الغرب في العصر العثماني الثاني ١٨٣٥ — ١٩١١م وأثره علي مجتمع الولاية، مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات التاريخية، رقم ٣٥، ليبيا، ٢٠٠٠م، ص ٤٨-٤٩

(٦) تيسير بن موسي، المجتمع العربي الليبي في العصر العثماني، التعليم، مجله تراث الشعب، العدد ٤، ١٩٨١م، ص١٤٤

ومن خلال الاضطلاع علي وثائق ملفات التعليم الديني والمساجد والزوايا والكتاتيب، وأن في المجتمع المحلي في ولاية طرابلس الغرب اتخذ طابع الديني لذا اتسم بالجمود والركود في الوقت الذي كانت المناهج تركزت علي اللغة العربية، كما كان للعثمانيين دوراً في الإشراف علي هذه المدارس الدينية، ومن اللافت للانتباه أن التعليم الديني بجوانبه المختلفة لا يتماشى مع متطلبات (التحديث).

التعليم العثماني :

عملت الدولة العثمانية منذ العصر العثماني للولاية، بإلزامية التعليم، وذلك بإصدار فرمان عثماني، أوجب إنشاء المدارس إجبارياً عام ١٢٨٦ هـ – ١٨٧٨ م، في جميع القري والمدن (١) وبالنسبة لهذا الإجراء فإن لدينا العديد من الوثائق بعد هذا الفرمان ما يتيح لنا تتبع أثره علي مجتمع الولاية للتعليم العثماني الحديث، لاذ أن العثمانيين لم يتحقق لهم ما كانوا يرجوه من التعليم الديني ومؤسساتها، لذا بدأت في فتح المدارس النظامية لتدريس المعارف الأوربية الحديثة ولم تتخذ بشأنها هذه الإجراءات، إلا أن في نهاية القرن التاسع عشر وترجح الباحثة هذه الصحوة التعليمية والثقافية تجاه المجتمع المحلي الطرابلسي إلي أسباب جوهرية أهمها :

أن الفترة المتأخرة للعصر العثماني الثاني تولي ولاة عثمانيين ولاية طرابلس المغرب هيأ لهم الاستقرار السياسي أحياناً، الظروف الملائمة بفتح المدارس المتخصصة مع رصيد الميزانيات المالية لها، وقد كان لهؤلاء الحكام دوراً في هيكلة الإشراف علي المعارف (٢).

(٣) ومن المدارس التي أسست في الولاية، المدارس الابتدائية (٤)، المدارس الرشيدية (٥)، المدارس الإعدادية (٦)، مدارس الاتحاد والترقي (٧)، مدرسة العرفان (٨)، مدرسة الفنون والصنائع (٩)، المدرسة الصناعية (١٠)، دار المعلمين (١)، البعثات الخارجية (٢).

---

(١) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ٥، وثقه للفرمان السلطاني، بوجوب أنشاء المدارس إجبارياً عام ١٢٨٦هـ – ١٨٧٨ م

(٢) انظر ملحق رقم (٣)

3

(٣) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ١م، وثيقة رقم ١٨٥، مشروع إنشاء مدارسة البنات في طرابلس

(٤) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم (م)، وثيقة رقم ١٣٧٣ م، المدارس الرشيدية

(٥) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملفات رقم (٥) ت، وثيقة رقم ١٤٢/م/١١/ث ،المدارس الإعداديه.

(٦) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ١، وثيقة رقم ١٧٠٣–٢٩٦/م/١١/ث، مسودة إحصائية للمدارس في طرابلس، الخمس، الجبل، فزان، عدد الطلاب والطالبات والمعلمين وتاريخ التأسيس للمدارس

(٧) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ١٣، وثيقة رقم ١٢، تركي إنشاء مدرسة صناعية باسم مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية بطرابلس، عام ١٣٩٨ م

(٨) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ٩ ث، وثيقة رقم ١٦، عربي، تعليمات من نظارة المعارف في إسطنبول علي عموم الولايات في عام ١٨٨٣م

(٩) مجله العصر الجديد اكثر في ٢٠ ذو القعدة ١٣٢٧ هـ – ١٩٠٩م، العدد ١، السنة الرابعة

وبما أن ما يهمنا تعليم (الفتيات) في هذه المدارس والتي سوف يتناوله البحث إلا أننا هنا نتعرض لهذه المدارس في عرض سريع لنا من ثم دراسة المدارس التي خصصت لتعليم الفتيات. فيما يخص (المدارس الابتدائية) لم تهتم الولاية بهذا النوع من المدارس إلا عام ١٨٨٣ م، حيث لعب الأهالي الدور الرئيسي في تحمل نفقاته المالية، بل تشير أحدي الوثائق إلي أن التعليم في هذه المدارس لم يرق للمستوي المطلوب للتعليم مما حذا بإرسال الشباب من طرابلس إلي إسطنبول لتلقي العلوم الحديثة [٣]

ويتضح من خلال هذه المقررات تطابقها إلا أن الاختلاف الأساسي هو تدريس المدارس الابتدائية للفتيات في الأعمال اليدوية من حياكة وتطريز وخياطه، وتدبير منزلي ويبقي الطالب ثلاثة سنوات دراسية، مع سنة احتياط، أما سنة الطلاب فتستقبل التلاميذ من بين سبع سنوات إلي غاية إحدى عشر سنة، أما الذين يقومون بالتدريس في هذه المدارس مدرسون يحملون شهادة دار المعلمين أو شهادة الكفاءة[٤].

ومنذ عام ١٩٠٩م أخذت الدولة العثمانية في تمويل هذه المدارس الابتدائية، نظراً لعدم كفاية تبرعات الأهالي، وكل ذلك لم يرقي بحالة المدارس، فلم تتمكن هذه الإمكانيات المادية من الرفع من حالتها العلمية والصحية معاً.

المدرسة الرشيدية:

أسسها الوالي أحمد عزت باشا (١٨٥٧– ١٨٦٠ م) يلتحق به الطلاب بعد إتمام المقررات الدراسية للمرحلة الابتدائية وهي ذات طابع عسكري وأسست مدرستان واحدة في طرابلس وأخري في بنغازي [٥].

المدرسة الإعدادية :

أنشئت أول مدرسة إعدادية في مدينه طرابلس عام ١٨٦٧م، وتعددت المواد الدراسية للطلبة لهذه المدرسة ومن ميزاتها تزويد الولاية للكسوة للطلبة سواء في الصيف أو الشتاء وتوفير الأقسام الداخلية [٦].

مدارس الاتحاد والترقي :

دعمت جمعية الاتحاد والترقي هذه المدارس والهدف منها خدمة العثمانيين وتقوية القومية، لذا فتحت أبوابها لجميع الطلاب دون تحديد، وبلغت عام ١٩٠٨م، مدارسها ثلاث مدارس [٧].

مدرسة العرفان :

---

(١٠) رأفت غنيمي الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، مطبعة دار الحقيقة، بنغازي، ليبيا، ١٩٧٢ م، ص ١٦٣

(١) خليفه محمد الزويني، الوثائق العثمانية، المجموعة الأولي، ترجمة، محمد الأسطي، منشورات مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٠ م، ص ٥٠– ٥١

(٢) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، وثيقة غير مصنفه، بتاريخ ١٩٠٨ م، بشأن العمل، والدراسة، بالمدارس الابتدائية

(٣) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ١٤/ م ث، مجموعة وثائق غير مصنفه ،وثيقة للمدرسة الرشيدية

(٤) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ١٤/ م ث، وثيقة رقم ٣٠٨، وثيقة للمدارس الإعدادية

(٥)العصر الجديد، العدد ٢ لسنة الثانية ٣٠ رجب ٣٢٨ هـ، ١٩٠٩ م.

(٦)رأفت غنيمي الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، مطابع دار الحقيقة بنغازي – ليبيا ١٩٧٣ م، ص ١٥٨.

تم إنشاءها في طرابلس عام ١٩٠١م، وتؤكد الوثائق التاريخية أنه قد ألتحق بهذه المدرسة أبناء ضباط الجيش والموظفين الذين مكنتهم إمكانياتهم المادية من الالتحاق في الولاية، تلك المدارس التي سعي بعض أبناء الطبقة العليا في المجتمع للانخراط بها [١]وقد ضمت المدرسة في طرابلس شعبتين واحدة للذكور، وأخري للإناث [٢].

مدرسة الفنون والصنائع :

أسست عام (هـ١٢٩١-١٨٢٤ م)، في حين استقبلت المدرسة طلابها معتمدة علي تبرعات ميسوري الحال ومن ثم حظيت بدعم مادي من بعض الولاة العثمانيين، منها الوالي رجب باشا (١٩٠٣ – ١٩٠٦ م) [٣]، وننوه هنا أن الغرض الأساسي من تأسيسها إيواء عدد من الطلبة المتشردين في الولاية.

وإذا ما نظرنا في هدفها التعليمي نجد أنه قد تم تعليم هؤلاء الطلاب المهن بالدرجة الأولي، وبتخرجهم يعين الطالب في المهنة التي تحتاجها الولاية.

المدرسة الزراعية :

تم إنشائها عام ١٩١٠ م ،واهتمامها بطرق الزراعة اشتمل منهج دراسة علي المواد الزراعية والتعليم الحرفي، والواقع أن هذه المدرسة لم يكن لها أي جانب إيجابي نظرا لتأخر إنشائها أي قبيل الاحتلال الإيطالي للولاية عام ١٩١١ م [٤].

دار المعلمين:

فتحت هذه الدار عام ١٩٠٥ م، ومن خلال الوثائق الخاصة بتأسيسها وبرامجها التعليمية نجد أنه لا يقبل أي طالب إلا بشروط منها الخلو من الأمراض، وقارئاً للقرآن، وحاصلاً علي شهادة المدرسة الابتدائية، واجتياز امتحان الأهلية واللياقة البدنية [٥].

وتري الباحثة أن سبب أحجام الطلاب والالتحاق بها، عدم وجود طلاب وفق الشروط المعلن عنها، قلة الرواتب المعروضة حتي إنها عام ١٩٠٣ م، تخرج سبع طلاب فقط [٦].

البعثات الخارجية :

نظراً لفقر ولاية طرابلس الغرب لأي نوع من التعليم العالي، سعت الإدارة العثمانية لإرسال بعض الطلبة لاستأنه لتلقي التعليم الحديث خاصة العلوم العسكرية، إلا أنه صدرت مراسيم يتبين نوعية الطلاب الذين لهم الحق بتلقي هذا التعليم وهم أبناء العشائر [١].

(١)فرنسيسكو كورو، ليبيا أثناء العصر العثماني الثاني، تعريب وتقديم، خليفة محمد التليسي، المنشأة العامه للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الثانية، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٤، ص١٠٠

(٢) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ٢/ث، وثيقة رقم ٢٩، تقرير يتكون من ٤ صفحات عن مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية مفصل بقسم الذكور والإناث

(٣) أحمد محمد القماطي، تطور الإدارة التعليمية في ليبيا في الفترة من ١٩٥١ – ١٩٥٠ م، دراسة تاريخية تحليلية ميدانية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ١٩٧٨ م، ص ٩٧

(٤) العصر الجديد، طرابلس الغرب، العدد ٣، السنة الأولي، ٦ ربيع الأول، ١٣٢٧ هت- ١٩٠٩ م

(٥) مجلة أبو قشة، (مدرسة العشائر)، العدد ٢٢،٢٥ جمادي الآخر ١٣١٥ هـ، ترين الثاني ١٣١٣ هـ

(٦) فرنسيسكو كورو، ليبيا أثناء العصر العثماني، مرجع سبق ذكرة، ص ١٠٢

حيث خضعت لوزارة الداخلية مباشرة، وإن تخرجهم كان ذا أبعاد للجانب العثماني لتوطيد علاقتهم بشيوخ العشائر نظراً لما عليه التحاق أبنائهم بهذا التعليم من وجاهة اجتماعية وسياسية، وتولي المناصب المهمة في الولاية بعد التخرج، أما سنوات الدراسة فانحصرت في خمس سنوات يتلقى فيها الطلاب عديد من المواد الدراسية، منها التعليم العسكري، ورغم سعي الدولة العثمانية للرقي بالتعليم العثماني الحديث في المجتمع المحلي لولاية طرابلس الغرب ورغم الإنفاق بسخاء من طرف العثمانيين علي التعليم، وإصدار الفرمانات من إسطنبول الخاصة بالتعليم إلا أنها لم تؤتي ثمارها ويعود السبب إلي طبيعة المجتمع المحلي وعدم تطبيق الفرمانات الصادرة من إسطنبول.

التعليم في مدارس الجاليات الأجنبية :

كان للامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية عام ١٥٣٦ م، للدول الأجنبية أثراً في تحقيق أهدافها الاستعمارية ومنها، نشر ثقافتها وتعليمها، بما أن ولاية طرابلس الغرب ضمت عديداً من الجاليات الأوربية وبما أنها من الولايات العثمانية كان من البديهي أن تؤسس كل جالية مدرسة خاصة بها، ومن هذه المدارس :

– **المدرسة الإيطالية** :

أنشئت في ١١ فبراير ١٨٨٤ م وثم بلغت هذه المدارس الإيطالية قبيل الغزو الإيطالي ١٩١١ م خمس مدارس ابتدائية (١)[٢].

– **المدارس الفرنسية** : أول مدرسة فرنسية أنشئت في طرابلس عام ١٧٤٠ م (٢)[٣].

– **المدارس الإنكليزية** : كان الإنكليز في طرابلس مدرسة منذ عام ١٩٠٧ م (٣)[٤].

– **المدارس اليهودية** : تم إنشاء أول مدرسة يهودية حديثة في طرابلس عام ١٨٠٤ م (٤)[٥].

لقد تعددت أهداف التعليم التنصيري، كل حسب مصالحه في المنطقة، إلا أن من الأمور الهامة التي تتضح لنا هي :

– تعدد أنماط التعليم في ولاية طرابلس الغرب خلال العصر العثماني كل حسب اتجاهه منه التعليم الديني الذي كان موجود في كل أنحاء البلاد.
– ربط التعليم الحكومي العثماني بالاستعانة مباشرة، حيث حظر بالاهتمام بعد صدور الإصلاحات العثمانية مع مشاركة الأهالي تحمل تكاليف التعليم مما تم جمعه من تبرعات، وإلي جانب التعليم الديني والعثماني وجد التعليم الأجنبي، التنصيري والذي خدم الأهداف الاستعمارية في البلاد كل حسب مصالحها.

المبحث الثاني : تعليم الفتيات في ولاية طرابلس الغرب خلال العصر العثماني الثاني ١٨٣٥-١٩١١م

لقد كانت المرأة في طرابلس الغرب جزءاً لا يتجزءا من سياق التطور التاريخي، حيث يمثل جانب تعليمها جزءا ًهاماً من دراستنا، ومع الأفكار السائدة ف تلك الفترة من أن تعليم الفتيات من المحظورات، حتي أنها ظهرت العديد من الأمثلة الشعبية

(٧) دار المحفوظات التاريخية طرابلس ، ملفات القناصل، ملف رقم ٤، وثيقة رقم ١٨، رسالة من قنصل فرنسا في طرابلس إلي الوالي، دون تاريخ

(١) محمد الكوني بالحاج، مرجع سبق ذكره، ص ١١٦

(٢) خليفة محمد الأحوال، الجالية اليهودية بطرابلس وكتاب محاضرات الموسم الثقافي الحادي عشر لسنة ١٩٨٩ – ١٩٩٠ م، طرابلس، مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ٢٠٠٠ م، ص ٢٢٧-٢٢٨

(٣) سالم سالم شلابي، عيون الناس ومرآة التعابير، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، بدون تاريخ، ص ٣٥

(٤) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ١٣/ث، فرمان سلطاني، بلزوم تعليم النساء القرآن في طرابلس، ٣ جمادي الثانية،١٢٦٣-١٨٤٧ م

علي ذلك منها (جنبوهن الكتابة)، (والقبر ولا المدرسة) (١)، وفي أواخر العصر العثماني، هناك ما يفيدنا في تتبع التاريخي لمراحل تعليمها فترة قيد الدراسة، صحيح أن بداية تعليمها كان يتم علي أصول التعليم السلفي في الكتاتيب، حيث يقمن بتعليم الدروس الدينية، الشيخات أو الأخوات، إلا أن سعي الدولة العثمانية، بإصلاحاتها اعتبرت خطوة إيجابية، كان له الأثر البالغ لدعم تعليمها (١٨٤٧-١٨٤٨م)، وذلك بإصدار الفرمان السلطاني الصادر من الوالي (أحمد راغب باشا) يأمر بتعليم البنات القرآن الكريم، والمسائل الدينية (٢)، كما جعلت الدراسة إجبارية للذكور والإناث علي حد السواء (٣)، وفي ضوء الوثائق التبين أيدي الباحثة أمكننا أن نطرح بعض التساؤلات محاولين الإجابة عليها مدعمين آراءنا التي تطرح بالأدلة التاريخية من تلك الوثائق ومن هذه التساؤلات :

- ما أهم مراحل تعليم الفتيات (المدارس) ؟ المناهج ؟.
- ما أهم القرارات الصادرة عن الدولة فيما يخص تعليم الفتيات ؟.
- ما مدي تجاوب المجتمع المحلي لتعليم الفتيات ؟.

أ – الهيكلية التعليمية للتعليم العثماني (مدارس البنات) :

منذ أن أوجد العثمانيون التعليم النظامي، قد شمل (الإناث) وذلك بتأسيس مدارس خاصة بهن، ومن هذه المدارس :

١– المدرسة الرشيدية للبنات طرابلس ١٨٩٨ م :

وجدت في كل من طرابلس وبنغازي مع المدرسة الابتدائية للبنات مدرسة واحدة، تدخل التلميذة هذه المدرسة الموحدة، تقضي فيها سبع سنوات دراسية، مع صف احتياطي وثلاثة رشيدي، وكان عدد تلميذات مدرسة البنات بطرابلس عام ١٩٠٨– ١٩٠٩ أربعاً وخمسين تلميذاً (٤).

والملاحظ أن غالبية الفتيات اللاتي التحقن بهذه المدرسة هن من بنات الضباط الأتراك وكبار المسؤولين في الولاية، واعيان البلاد، في حين عدد الطالبات المحليات اللاتي التحقن وتخرجن منها كان قليلاً جداً وترجع الباحثة أن قلة الخريجات راجع إلي اقتصار هذه المدرسة علي بنات الطبقة العليا في البلاد أولاً وتحفظ الأهالي تجاه التحاق بناتهن في هذه المدارس لأن بعض المعلمات في هذه المدارس من الأتراك ولم يكن من العنصر المحلي إلا قليلاً منهم علي سبيل المثال السيدة (فاطمة الزهراء) (٥)، ثانياً ومع تعدد إنشاء هذه المدارس الابتدائية حتي أنه عام ١٩١١ م، تم وضع مشروع لإنشاء ثمان وخمسين مدرسة، ولم يكن بين هذه المدارس إلا اثنان لتعليم البنات.

١– مدرسة الفنون والصنائع ١٨٩٩ م :

(١) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ١٤، وثيقة ٣٤٤، رسالة إلي وزارة المعارف بخصوص تعليم الذكور والإناث ،بدون تاريخ

(٢) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ١، من نظارة المعارف العمومية، المدرسة الرشيدية للبنات تقرير لشوكت هانم، بدون تاريخ

(٣) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ١٥ /ث، وثيقة مترجمة، مدرسة الفنون والصنائع وبرنامجها بتاريخ ١٨ أبريل ١٨٩٨ م

(٤) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف مدرسة الفنون والصنائع، وثيقة ٣٨٢، التحقيق في مشاجرة وقعت بين معلمة صناعة البسط في مدرسة الصنائع قسم البنات، كانون الثاني يناير، ١٩٠٢ م

(١) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ٤، وثيقة رقم ١٠٥ (صفر ١٣٦٢ هـ / مارس ١٩٠٨ م) (

من الأهداف الأساسية لإنشاء هذه المدرسة للتعليم الفني والمهني للطالبات، منها الصناعة والحرف، حيث كان يقوم بتعليم البنات بهذه المدارس، ثلاث معلمات للنسيج والسجاد ومعلمة واحدة للتعليم العام، ومن ضمن المقررات بالمدرسة تعليم الفتيات المواد العامة أيضاً إلي جانب المواد الحرفية (1)، وكان يتم تعيين هؤلاء المعلمات من قبل نظاره المعارف باسطنبول، وتتقاضي مرتبات من إيرادات المدرسة الخيرية، ومما يمكن قوله إجمالاً أن هذه المدرسة قد سعت إلي تعليم الفتيات المهارات والصنائع ذات العملية الصناعية مثل (الطبخ، الأعمال المنزلية، والنسيج، والحياكة، التطريز)، ولم نعثر علي أي وثائق تشير إلي تعليم الفتيات (التعليم الزراعي) بل اقتصر هذا التعليم علي الذكور دون الإناث.

ولقد تم تشجيع التعليم الحرفي للفتيات، فقد تم في سنة ١٨٧٠ بطلب الأهالي عن طريق مجلس إدارة الولاية تأسيس مؤسسة إصلاحية يتعلم فيها أبناؤها مختلف الصنائع أسوة بالولايات العثمانية الأخري، ومنها تعلم البنات (2)، وفي سنة ١٨٧٤ م أصدر الوالي علي رضا باشا مرسوماً حث فيه الأهالي بالتبرع لإنشاء هذا المشروع.

وفي سنة ١٨٩٨م بدئ في وضع الأساسات التي صممت علي أن تكون طابقان خصص الطابق الأول لإعداد المعامل والورش بتدرب فيها علي شتي أنواع الحرف المختلفة، بينما صمم الطابق الثاني لقاعات الدروس النظرية بالإضافة إلي غرف النوم، وقد استغرق العمل ثلاث سنوات، حيث تم افتتاحه في سنة ١٩٠١ م، بحضور وكيل والي الولاية والأمراء العسكريين وبعض الأهالي (3).

ويتكون من قسمين منفصلين القسم الأول خاص بالذكور والقسم الثاني خاص بالإناث، وخصص القسم الخاص بالبنات لتعليم الخياطة، وصناعة البسط.

وننوه أن التعليم المهني والحرفي للفتيات قد اعتمد بصورة مباشرة علي المبادرات الأهلية ومن ثم الإدارة والمعارف، واعتقد أنه لم يحدد بفئة معينة من الطبقات الاجتماعية في المجتمع الطرابلسي بل حسب رغبة الأهالي بالتحاق بناتهن بهذا النوع من التعليم ومن بعض الوثائق نجد أن هذه المدارس اقتصرت علي المدن دون القري والبوادي، فتأسيسها كان في طرابلس، وبنغازي، وفزان، ودرنة، وقد يعود السبب إلي تركز الصناعة والتجارة في المدن دون النجوع والبوادي، ومع أن أيلتون (4) ذكر أن التحاق الفتيات بهذا النوع من المدارس كان بنسبة ضئيلة إلا أن الوثائق التي بين أيدينا تناقض رأيه ،حيث وحسب الإشارة الواردة في إحدى الوثائق المؤرخة أن التحاق الطالبات بمدرسة الفنون والصنائع في زيادة، فقد أشارت إحدى الوثائق إلي طلب بعض سكان محلة البلدية فتح مدرسة ثانية للبنات في قوس المغني لعدم كفاية المدرسة الأولي، وتعيين مدرسة من خريجات مدرسة الصنائع مشرفة.

وبعدما ما تعرضنا إلي التعليم المهني والحرفي للفتيات نطرح هنا تساؤلاً هاماً هو ما مدي انعكاس هذا التعليم علي حياتهن العملية في الولاية.

---

(٢) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ٤، وثيقة رقم ١٠٩، (٥نيسان ١٣١٤ مالي – ١٨٩٨/١٨ م)، وينظر جريدة طرابلس الغرب، العدد رقم ١١٩٣، (٤رمضان ١٣٢٢ هـ –١٩٠٤/١١/١١ م)(

(٣) ليونارد أبلتون، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣

(٤) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ٢، وثيقة تركية إلي مدير المال بالولاية بشأن رواتب مدرسة البنات الإعدادية والابتدائية، ١٩١٠ م

(٥) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ٥، مديرية المعارف قرار بشأن مدارس الذكور وأخري لإناث وتعيين مدرسات لتعليم التفصيل والخياطة بمدارس البنات

ولعل أبرز ما يمكن الأشارة إليه هنا فيما يتعلق بمدي استفادة الفتيات من التعليم الحرفي والمهني، أن جلها كان في حياتها العائلية والمتمثلة في الصناعات الحرفية البسيطة منها تعليم الخياطة والتفصيل والتطريز وكي الملابس والنسيج، وصناعة البسط، والطبخ، هذا إذا ما عرفنا أن جل هذا ما تتعلمه تستفيد منه في حياتنا الزوجية، إلا أن صناعة الغزل والنسيج، لم نجد في وثائق هذه الفترة التاريخية ما تشير إلي انخراطها في المصانع التي أنشئت، بل مارست هذه الحرف في بيوتهن معتمدة علي ما وفرت لها من مواد الخام الأولية، ومع ذلك استفادت بعضهن بما تلقت من تعليم مهني وحرفي.

١-المدارس الابتدائية والإعدادية ١٩٠٨ م :

أنشأها الضابط التركي (أنور باشا) في بنغازي، والجبل الأخضر، وقد أصدرت نظارة المعارف بإسطنبول تحرم فيه علي كل من يحمل الجنسية العثمانية أن يقوم بوظيفة المعلم في هذه المدارس الابتدائية والإعدادية [١]، وشملت التنظيمات الصادرة عن وزارة المعارف العثمانية هذه المدارس، وفيما يخص تعليم البنات فقد نصت علي تخصيص مدارس للذكور، وأخري للإناث [٢]، والأرجح أن هذا القرار كان علي أثر عزوف الأهالي لإرسال بناتهم للمدارس المختلطة نظراً لقوة العرف والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع الليبي إلي أن سمحوا بفتح المدارس للإناث والذكور معاً في القري الصغيرة والتي يتعذر فتح مدرستين فيها.

١-تعليم الفتيات في مدارس الجاليات الأجنبية :

وجد العديد من الجاليات الأوربية في الولاية، وبما أنها اختلفت الكثافة السكانية لكل جالية إلا أنها استفادت من الامتيازات العديدة التي منحتها الدولة العثمانية للجاليات في الولايات العربية الواقعة حتي نفوذ الحكم العثماني ومنها ولاية طرابلس الغرب، وفي مجال التعليم، لذا انتشرت العديد من المدارس الأجنبية أدت مهامها كل حسب سياستها سوي القديمة وبعيدة المدي وذلك في ظل السياسة البشرية الاستعمارية والتسلل السياسي والثقافي كما حدث مع النفوذ الإيطالي قبيل عام ١٩١١ م.

١- **المدارس اليهودية** : تعددت وتنوعت المدارس اليهودية في ولاية طرابلس الغرب منها المدارس الأهلية، تلك التي دعمت من أموال الرأسماليين في الولاية مثل مدرسة أبناء ليغورنو، ومدرسة أبناء ناحوم، والمدرسة اليهودية بالعمروص، ومدرسة أريس، والمدرسة الفوقاتية، ومدرسة التلمود والتوارة بالخمس [٣].

وبما أننا ما يهمن تعليم الفتيات اليهوديات لذا سوف نلخص هنا مميزات هذه المدارس :

أولاً : تباينت هذه المدارس في أهدافها البعض هدف الرفع من المستوي الثقافي، ومواكبة التحديث الأوروبي، وبعضها لتخريج كوادر بجميع جوانب الحرف الاقتصادية، في حين نجد مدارس ذات صبغة دينية صرفة.

ثانياً : لعب أثرياء اليهود الدور الأساسي للدعم المادي لهذة المدارس، سواء بإمدادها بالمعونات المادية أو إنشائها بمجهود ذاتي، ومنها المدرسة اليهودية بالخمس والتي لعبت عائلة (أريب) الدور الأهم في تأسيسها [٤].

---

[١] دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ١٢، طلب اليهودي خلافو عقيب للتراخيص بفتح مدارس يهودية لتعليم الدين واللغه العبرية في مجلة اليهود، ٩ فبراير، ١٩٠١ م

[٢] دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ١٣، وثيقة تركية، ملف رقم ٢٤، رخصة لفتح مدرسة يهودية تصدرها إدارة معارف الولاية، عام ١٨٩٤ م

(١) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ٩، وثيقة رق ١٧، تركية، من مديرية المعارف بالولاية، رخصة تدريس المدرسة اليهودية.

(٢) جريدة طرابلس الغرب، العدد ١٣٥٨، لسنة ٤١-٢٦ ربيع الأول ١٣٢٩ هـ، ١٠١٤ م، ١٣٢٧ مالية، ١٩١١ م

ثالثاً : لعبت بعض النساء اليهوديات الثريات دوراً للنهوض بتعليم الفتيات الحرفة المهنية منها السيدة قريتة فيتويو VITTORIO حيث أنشأت مدارس للخياطة والتفصيل أما أهم أهداف برامجها، فهو تعليم الفتيات اليهوديات مهناً نسوية يستفدن منها في حياتهن العملية وتشير بعض الوثائق اليهودية إلي انخراط بعض الطلاب في المدارس التركية، وأن النسبة كانت ٩ % منهن إلا أننا لم نعثر علي ما يفيد أن تعلم الفتيات اليهوديات يجري بهذة المدارس إلا أنه قبيل الاحتلال الإيطالي لليبيا أسست مدارس الاتحاد الاسرائيلي خصص قسم منهن للإناث، أشرفت عليها مدام (كليرليوي) (١).

وقد قدر عدد الطالبات بهذه المدارس اليهودية ب (مائة) طالبة وتنوعت المناهج التي يتم تدريسها للطالبات منها : اللغات، تاريخ إسرائيل، الحساب، والأشغال اليدوية، والأعمال المنزلية.

وتشير إحدى الوثائق إلي افتتاح الجالية اليهودية في عام ١٩٠٢م مدرسة مختلطة لتعليم الأعمال التجارية انخرط فيها ٦٠ طالبة وأن السيدة فلوناحوم من ضمن خريجات هذه المدرسة (٢).

وتسعفنا بعض الوثائق بمعلومات تاريخية قيمة أمكننا من خلالها أن نصل إلي بعض الحقائق فيما يتعلق بالتعليم للفتيات اليهوديات منها :

أولاً : أن نسبة التعليم اليهودي للفتيات يعتبر نسبة ضئيلة جداً مقارنة بالجاليات الأوروبية الأخرى في الولاية، وترجح الباحثة سبب ذلك إلي سياسة الانغلاق انتهجها في اليهود في حياتهم، وهذا ما يفسر – عد انخراط الفتيات العربيات والتركيات في هذه المدارس.

ثانياً : قامت بعض الجمعيات الخيرية بدعم تعليم الفتيات تلك التي أسست من طرف بعض السيدات اليهوديات، والهدف منها الرفع من المستوي الثقافي لهن فتدريس الإناث مقررات دراسية منها القراءة، وقواعد اللغة الفرنسية، وتاريخ إسرائيل، وأصول الخطابة، اللغة الفرنسية، ومادة القراءة باللغة الإيطالية، ومادة التوراة باللغة العبرانية، إلا أن أغلبها ركز علي تعليم الفتيات، الحياكة والتطريز والأعمال المنزلية، مع تقديم المساعدات للأرامل والأطفال سواء من الذكور أو الإناث، ومن أهم تلك الجمعيات، جمعية نجمة الهلال ١٩١١ م (٣)، ومن أهم الجمعيات الخيرية، جمعية الهلال، وجمعية حماية العوانس، تجمع الإعلانات من التجار ورجال الأعمال (٤).

ثالثاً : لم يعتمد اليهودي بالدرجة الأولي على التبرعات المادية من الأهالي، بل تضافرت جهود بعض الأسر اليهودية مثل أسرة ناحوم، أسرة حسان، وأربيب للرقي بالتعليم.

٢– المدارس الفرنسية : يرتبط التعليم الفرنسي في الولاية بسعيها لإنشاء وفتح العديد من المدارس، إلا أن الملفت للانتباه إلي التعليم التنصيري، علي أية حال فإنه من المؤكد أن لتعليم الفتيات مكانة في التعليم العام حتي وإن انطبع بالطابع التنصيري التبشيري.

Iprima Ordainment Civili nella libia Roma.1914.p151-158 (3) Dr.Caruos Inghilleri

(٤)خليفة محمد الأحول، الجالبات الأجنبية في ليبيا (١٨٣٥ – ١٩٥٠)، المجتمع الليبي، ١٨٣٥–١٩٥٠ م، أعمال الندوة العلمية الثانية، مرجع سب ذكره، ص ١٢٧

(١) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات القناصل، ملف رقم ١٥، وثيقة رقم ٢٢، تركي – ربي – فرنسي – إعلان عن فتح مدارس الجاليات الفرنسية لتعليم اللغه الفرنسية بإشراف مكتب العرفان بمدينة طرابلس.

(٢) المصدر نفسه

فقد أسست وبإشراف وإدارة (سوردونيان جوزيف) راهبات القديس يوسف مدرسة للإناث في طرابلس مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات [١]، وتم افتتاح مدرسة في مدينة بنغازي إدارتها الإرسالية الكاثوليكية، وإشراف راهبات القديس يوسف للإناث أيضاً، هذا فيما يخص التعليم المحلي.

أما التعليم العام، ففي عام ١٩١١ م أنشئت المدرسة الفرنسية الابتدائية، والتي ضمت ٤٠٠ تلميذة إلي جانب ٢٠٠ تلميذاً [٢].

وشمل منهج الدراسة لتعليم الفتيات، اللغة الفرنسية، تعليم الأديان، التاريخ، في حين كان المقررات الأهم الطالبات، مواد الأشغال اليدوية، والموسيقي.

وتشير إحدي الوثائق إلي مطالبة سيدة سودانية باسترداد ابنتها لالتحاقها بدون رضاها بمدرسة فرنسية للراهبات (٥)[٣].

ومن الواضح أن المدارس الفرنسية في العصر العثماني الثاني كان هدف تعليمها تنصيري، بالدرجة الأولى سواء للذكور أو الإناث وكان اتجاه بعضهن إلي أن يكن راهبات.

٣-المدارس الإنكليزية : تمتعت إنكلترا بنفس الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية لرعايا الأجانب، حيث أشارت بعض الوثائق (بأرشيف القناصل) إلي أن إنكلترا منحن عديداً من المدارس في طرابلس في سنوات متلاحقة، التحق بها ٣٣٢ تلميذاً وتلميذة عام ١٩٠٧ م، أما عام ١٨٠٨ م بلغ ٤٢٨ تلميذاً وتلميذة وبلغ في عام ١٩١٠م عدد التلاميذ في هذه المدارس ٣٥٩ تلميذاً وتلميذة [٤]، في حين تبنت تأسيس دار للأيتام تولت رعاية أربعاً من الفتيات [٥].

وجدير بنا أن نذكر هنا أن انكلترا من خلال إنشائها لهذه المدارس هدفت إلي نشر المذهب البروتستانتي.

٥-المدارس الإيطالية : اختلفت المصادر في تحديد السنوات التي بدأت فيها إيطاليا سعيها لتحقيق أهدافها الاستعمارية في ولاية طرابلس الغرب قبل عام ١٩١١ م، خاصة وأن تمهيدها أخذ أشكالاً عدة، منها سياسياً وثقافياً، لذا حتي ينسي لها التغلغل الثقافي في البلاد أسست مدارس عدة سواء تعليماً عاماً أو دينياً، وهنا سوف نتعرض لأهم هذه المدارس :

أ-مدرسة البنات ١٨٤٦م : بلغ عدد التلميذات اللاتي التحقن بهذه المدرسة عند افتتاحها ٦٠ تلميذة [٦]، درسن عديدا من المقررات الدراسية منها الموسيقي.

ب- المدرسة الفنية ١٩٠٧م : تخصصت هذه المدرسة في الجانب التجاري والفني، ولم نعثر في الوثائق علي ما يوضح لنا عدد الطالبات اللاتي التحقن بها.

---

(٣) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ٩، وثيقة رقم ٣٤٠، مراسلات بين الولاية وبين وكيل قنصل عام فرنسا بشأن مطالبة السودانية زهراء لاسترداد ابنتها التي التحقت بدون رضاها بمدرسة فرنسية للراهبات، ١٧ رجب ١٢٨٧، انظر ملحق رقم

(٤) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات القناصل، ملف القنصلية الانكليزية رقم ١٧، وثيقة رقم ١٥، بدون تاريخ

(٥) محمد الكوني بالحاج، مرجع سبق ذكرة، ص ١١٦

(١) إسماعيل مولود القروي، الغزو الثقافي الإيطالي الممهد للغزو العسكري لليبيا، ١٨٨٢-١٩١١ م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة طرابلس، ليبيا، فبراير ١٩٨٤ م، ص

(٢) إسماعيل مولود القروي، مرجع سبق ذكره، ص ١١٢

(٣) علي الصادق حسنين، المدارس الإيطالية وتطورها في ليبيا (١٨٥٠ – ١٩١١م)، المجتمع الليبي، ١٨٣٥-١٩١١م، أعمال الندوة العلمية الثامنة التي عقدت بمركز جهاد الليبيين، مرجع سبق ذكره، ص ص ٤٣٠-٤٣١

ونجد أن إيطاليا قبيل عام ١٩١١ م أنشأت مدرسة خاصة للبنات بلغ عدد تلميذاتها ٣٠٠ تلميذة (١)، ومن الأمور الهامة التي ينبغي الإشارة إليها أن إيطاليا ركزت علي التعليم التنصيري، ونؤكد رأينا هذا، بعدد الراهبات الفرنسكانيات اللاتي كن يدرسن بهذه المدارس، حيث تمثل نشاطهن في التدريس الديني، فتشير إحدي المراجع إي أن الراهبات البلغاريات قامت بتدريس الموسيقي في مدرسة البنات (٢)، والراهبات الإيطاليات أيضاً قاموا بتدريس بعض المقررات الدراسية في المدارس الإيطالية.

ولقد سبق أن ذكرنا المعزوف التام من قبل الأهالي علي انخراط بناتهم في المدارس الأجنبية، لنظرتهم أولاً، ولسيطرة العادات والتقاليد الاجتماعية ثانياً.

ويمكن أن نقول أن تعليم الفتيات في ولاية طرابلس الغرب في ذلك العصر، لاشك أنه كان متبايناً حسب الولاة الأتراك الذين تتابعوا علي الحكم، وأيضاً من مدارس إلي أخري إلا أننا هنا في خاتمة هذا الجانب، تضع إحصائيات اعتمدتها من المصادر الوثائقية والتقارير، بصفه عامة لإعداد الطالبات أولاً، والمقررات الدراسية ثانياً، وأخيراً للمدرسين والمدرسات الذين بهذة المدارس، وفي البداية نضع هنا هذه الجداول ومن ثم النقد والتحليل.

السنة الدراسة

نوع الدراسة	ذكور	إناث
مدرسة ابتدائية للبنات وملحق بها مدرسة مهنية.	–	٣٤٨
مدرسة بنات تابعة لراهبات القديس جيوزيبي.	–	٣٥٣
مدرسة بنات تابعة للجمعية الوطنية الإيطالية للمبشرين.	–	٧٥
مدرسة ابتدائية للإناث تابعة للبعثة الكاثوليكية للراهبات الفرنسيكات.	–	٥٠

السنة الدراسية

نوع الدراسة	الإناث
ابتدائية (إناث)	٨٠
مهنية (إناث)	٣٠

(٤) إسماعيل مولود القروي، مرجع سبق ذكره، ص ١١٦

(٥) دار المحفوظات التاريخية طرابلس، ملفات التعليم، ملف رقم ٢٩١/ث، وثيقة (تركية) مترجمة، أسماء المعلمين والموظفين بمدارس ولاية طرابلس ورواتبهم، مارس ١٩١٠م، انظر ملحق رقم (١٠)

المدارس غير العربية في عام 1902طرابلس [١]

الرقم	المدارس	عدد الطلاب		المجموع
		الإناث	الذكور	
١-	المدارس الفرنسية	٧٠	٨٠	١٥٠
٢-	المدارس الإسرائيلية	٦٠	٦٥	١٢٥
٣-	المدارس الإيطالية	٣١٠	٣١٠	٦٢٠
٤-	المدارس الإيطالية العلمية والتجارية	-	٤٦	٤٦

المصدر :احمد محمد القماطي، تطور الإدارة التعليمية في ليبيا، مرجع سبق ذكره، ص ٧٩.

ويلاحظ من هذه الإحصائية أن أكثر نسبة من التلميذات بالمدارس الإيطالية وذلك لأسباب ذكرت سابقاً، وهي سياسة التغلغل الثقافي في الولاية.

ويتضح من هذا العديد من الحقائق التاريخية الهامة، وقبل التعرض لها ننوه هنا أن الباحثة وجدت بعض التناقض بين بعض الإحصائيات لصعوبة وجود الوثائق للسنوات المتلاحقة، بل تري الباحثة بالإمكان الاعتماد علي إحصائيات منذ عام ١٩١٠-١٩١١م، أظهرت الإحصائيات أنه أثناء نهاية الحكم العثماني كان بالمدارس التركية حسب الإحصائيات الإيطالية كالآتي :

-٣٩ تلميذة بالمدارس المهنية، في حين التلاميذ بلغ ١١ تلميذاً بالمدرسة الفنية التجارية، و٧٥ تلميذاً بمدارس الفرنسيكان، وبهذا المجموع يكون ١٢٥ طالباً.

-أما إذا أردنا حصر عدد البنات المحليات اللاتي كن يتلقين تعليماً نظامياً في الولاية، يكون من المستحيل البلوغ لهذة لأعداد لأسباب منها، جل الإحصائيات التي درستها الباحثة اتخذت صفة العام دون الخاص، لذا تلك الإحصائيات لم تحدد الجنسيات للفتيات، بل أعطت لنا أرقاماً عامة.

-ثمه ملاحظة علي المعلمين والمعلمات والموظفين في مدارس ولاية طرابلس الغرب، أما بالنسبة المعلمين أكبر نسبة المعلمات بالمدارس حسب أحصائية التدريس لعام ١٩١٠ م، وانحصرت في مدرسة الإناث الإبتدائية بطرابلس الغرب وهن لطيفة خانم، وحورية خانم، ومبروكة قادين [٢].

وفى نهاية عام ١٩١١ م اشتملت المدرسة الابتدائية التركية للبنات على ثمانين تلميذة فى القسم التعليمي ،وثلاثين تلميذة فى القسم المهنئ، هذا ما يخص التعليم التابع للدولة العثمانية (التركي)

أما الإحصائيات للمدرسة الإيطالية للبنات بلغت ٣٥٠ تلميذة ،و ٤٠٠ تلميذة بمدرسة البنات في طرابلس، و١٠٠ تلميذة ملحقة بقسم البنات بالمدرسة التلموذية بالحي اليهودي بطرابلس.

ويمكننا أن نقول أن تعليم الفتيات في الولاية، تباين حسب توزيع المدارس في المدن، سواء في طرابلس أو الخمس ومرزق وغريان وغيرها من المدن، وغالباً أرتبط أيضاً بإصلاحات بعض الولاة العثمانيين عند توليهم ولاية طرابلس الغرب، في الجانب

(١) محمد بشير سويسي، التعليم الديني (التعليم الأهلي)، خلال الفترة من (١٨٥٠-١٩١١م)، والتغيرات التي طرأت عليه، المجتمع الليبي ١٨٥٠-١٩١١م، مرجع سبق ذكره، ص ٤٥٢

(١) جريدة الترقي، العدد ٨٩، ذي الحجة، ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م، فوضي أم حرية.

التعليمي، بإصدار الأوامر لتأسيس المدارس حيث أثر تهميش المناطق البعيدة عن المدن والقري في هذا الجانب علي التعليم النظامي، يتضح ذلك من توزيع المدارس النظامية في الولاية جلها أسست في المدن الرئيسية بطرابلس، بنغازي، فزان، درنة، مصراته.

د-نظرة المجتمع المحلي لتعليم الفتيات (المشاكل والصعوبات) :

هناك الكثير من الأدلة علي أن بعض الأهالي قد عارض تعليم الفتيات التعليم النظامي الحديث، في حين شجعوا الفتيات للالتحاق بالتعليم الديني بالمدارس الدينية الملحقة بالمساجد، ذلك التعليم الذي تركت الدولة العثمانية مسؤولية للأوقاف ذلك التعليم بأن الفتيات كان لهن نصيب منه، فالأهالي في جميع القرى والمناطق المجاورة لم تحبذ إرسال بناتهم خارج القرية نظراً لسيادة العرف والعادات والتقاليد، لذا سعوا لتعليمهن الأمور الدينية في بعض البيوت، تمثلت أقساط تعليمهن في الهدايا الرمزية اللاتي تقدمها الفتيات لما يعرف بالعريفة أو الشيخات، فأحياناً تكون غلة من الغلال كالشعير والقمح أو التمور وغيرها.

ومن الشروط التي تتوفر في المدرسة (الفقية) و(العريفة) يشترط فيه شروطاً خلقية واجتماعية، منها أنها خبيرة، ذات دين وعقل وعفة، وعقيدة صحيحة، ومتزوجة، أمينة علي البنات.

ولم يقتصر علي تعاليم الدين، فمن وجهة المقارنة بمدارس التعليم الحديث، شنت حملة علي مدرسة بمدرسة البنات، لسوء أخلاقها، حتي تم نقلها إلي ولاية أخري وتبلغ الأساة ذروتها حينما يتعرض اثنان من الجند علي نقلها ويهددان بإخراج من يحل محلها بالقوة من المدرسة، فما كا من مدير المعارف إلا أن أغلق المدرسة تجنباً للمكاره.

وأغلب الظن أن الأهالي في المدن جنبوا أن تتلقي بناتهم التعليم على يد المعلمات، خشية اتصالهن بالأجانب.

ولعل تعليم البنات يكون اختيارياً حسب قناعة الأهالي المحليين، لذا فإن الحكومة لم تفرض تعليمهن، بل تري الباحثة إلي جانب الظروف الاجتماعية والتي تعتبر العائق الأساسي والرئيسي نجد أيضاً الظروف الاقتصادية في تدني تعليم الإناث، في حين كان لبنات الأعيان والضباط الأتراك الدور الأكبر في تعليمهن.

إذاً قد نصل إلي طرح تساؤلاً هاماً ،هل ثقافة المجتمع المحلي من عادات وتقاليد كانت لعبت الدور السلبي في تأخر تعليم الفتيات؟.

اتضح من خلال استعراضنا فيما سبق كان لإثراء العرف والعادات والتقاليد أثراً علي واقع المرأة الاجتماعي الأثر السلبي لها، ومن ضمن سلبياتها تأخر تعليمها الحديث، حيث أن الأهالي حتي وإن سمحوا لبناتهم بالالتحاق بالمدارس الحديثة إلا أنهم حبذوا عدم اختلاط الذكور بالإناث، إلا أن الأتراك لم تنجح سياستهم بتأسيس مدارس للإناث وأخري للذكور، لأنها حسب رأي الباحثة مكلفة مادياً في وقت كانت ميزانيته المعارف لا تعطي كل النفقات مما حذا ببعض الأهالي للمساندة بالدعم المادي، إلي جانب أن المناهج التي كانت مقررة في مدارس الإناث قد ركزت علي المواد الخاصة بالأعمال النسوية كالخياطة والتدبير المنزلي، ومنذ نهاية عام ١٩٠٨ م أدخلت مواد التربية الفنية كالموسيقى والرسم، وفي الحقيقة أن اعتبار المرأة كيد عاملة اقتصادياً كان عائقاً في سبيل تعليمها، فقدكانت الفتيات تحرم من التعليم لمساعدة العائلة في الحقول.

الخاتمة

وبعد دراستنا للوثائق التعليم في ولاية طرابلس المغرب خلال العهد العثماني الثاني ١٨٣٥-١٩١١ م، يمكن القول بأن تعليم الفتيات في الولاية لم يكن يرقي إلي ما حاولت الدولة العثمانية تطبيقه من سياسته الإصلاحية، خاصة لتعليم البنات، فمن خلال الإعداد التي بين أيدينا لإعداد الطالبات بمختلف مراحل التعليم ثبتت مدي فشل العثمانيين في دعم تعليم المرأة، وتطورها بل رسخ الجهل والتخلف مما انعكس علي أدوارها المختلفة في المجتمع الطرابلسي خاصة وضعها الاجتماعي.

كما نجد أن سيطرت العرف والعادات والتقاليد الاجتماعية أثراً تأثيرا مباشراً علي تدني تعليمهن.